الفقهاء الأربعة للأطفال

الإمام مالك بن أنس

إمام الأئمة، وجامع فقه أهل الحجاز

محمد إبراهيم سليم

سليم ؛ محمد
الإمام مالك بن أنس: تأليف محمد إبراهيم سليم
القاهرة: دار الطلائع للنشرو التوزيع ، ٢٠٢١.
٤٨ ص ؛٢٤سم
سلسلة الفقهاء الأربعة للأطفال
تدمك: ٤ ٩١٥ ٢٧٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - قصص الأطفال
أ - العنوان
٨١٣,٠٢

رقم الإيداع: ٢٠٢١/١٥٤٨
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 277 - 915 - 4

تصميم الغلاف الفنان: زكريا عبدالعال

٥٩ شارع عبد الحكيم الرفاعي -
خلف التوحيد والنور - مدينة نصر - القاهرة
تليفون: ٢٢٧٤٤٦٤٢ (٢٠٢+)
تو فاكس: ٢٣٨٩٦٦٤٩ (٢٠٢+)
E-mail : info@altalae.org
Web site: www.altalae.org

جميع الحقوق محفوظة
للناشر
يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من الناشر، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر.
© 2021

الفقه الإسلامى وأئمته الأربعة
دراسة تمهيدية لا يستغنى عنها طالب

أولا ـ الإسلام يقوم على عنصرين:

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد ارتضى لنا «الإسلام» ديناً، وبعث إلينا نبيه محمداً ﷺ بشيرًا ونذيرا.

ومن يتأمل حقيقة دين الإسلام يجده يقوم على عنصرين، لا ثالث لها:

1ـ عقيدة. 2ـ وشريعة.

وقد ظل النبى ﷺ منذ بعثه الله بمكة المكرمة، يعمل على غرس «العقيدة السليمة» فى نفوس كفار قريش عبدة الأصنام، ويدعو ليلا ونهاراً إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد.

كان ذلك طوال ثلاثة عشر عاما خلال الفترة المكية.

فلما صحت عقيدتهم بالتسليم لله، والإيمان به وحده لا شريك له، والإيمان بملائكته، ورسله، واليوم الآخر، وانتقلت الدعوة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة؛ حيث كان اللقاء بين المهاجرين والأنصار ـ نشأ أول مجتمع إسلامى تضمه عقيدة واحدة سليمة: «**لا إلا الله محمد رسول الله!**».

فلما صحت العقيدة ونشأ المجمع كان لابد لهذا المجتمع من تشريع، وقانون ينظم حياة المسلمين فى جميع النواحى الدينية، والاجتماعية، والسياسية... ينظم علاقة الإنسان بربه... وبنفسه... وبالناس أجمعين!

وإن شئت فقل: «**قانون سماوي**» ينظم حياتهم دنيا وأخرى وبهذا التشريع، يصبح المسلمون، وقد أكمل الله لهم دينهم وأتم عليهم نعمته (عقيدة وشريعة).

وقد جمع الله أصول هذا التشريع فى القرآن الكريم الذى تعهد بحفظه إلى يوم القيامة، ففيه تبيان لكل شيء، ولقد أشار إلى ذلك بقوله.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل]:89]

وأصبح القرآن «**هو الأصل الأول**» الذى يرجع إليه المسلمون جميعا فى التشريع، ومعرفة الأحكام، ببيان الحلال والحرام بصفة عامة.

وكلف الله نبيه أن يتولى مسئولية البيان و التفصيل بقوله:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:44] وتولى رسول ﷺ البيان بالقول والفعل، فقد فرض الله «الصلاة» ولكن عدد الركعات، وكيفيتها بينه الروسل ﷺ «**قولا**» بأحايث كثيرة «**وفعلا**» بصلاته أمامهم طالبا منهم الاقتداء به:

«**صلوا كما رأيتمونى أصلي**» (البخاري).

وقد يلهم الله من صفت نفسه بقول، أو عمل طيب، فيقره الرسول ﷺ عيله، ويصبح سنة تقريرية إلى جانب السنن القولية والفعلية.

ثانيا: الشريعة لإسلامية تقوم على أصلين:

وكما قام الدين الإسلامى على أصلين هما: العقيدة والشريعة ـ قامت الشريعة أيضا ـ على أصلين هما:

1 – **القرآن الكريم** 2 – **والسنة النبوية.**

ولقد كان الرسول ﷺ ـ طوال حياته ـ مرجع الجميع فيما اختلفوا فيه، حيث كانوا يرجعون إليه، ويعرضون الأمر عليه، فيبين لهم، وجه الحق فيما اختفوا فيه، فيأخذون برأيه مطمئنين لحكمه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3،4]

فإذا لم يتمكنوا من الرجوع إليه لبعد المسافة بينه وبينهم، فإنهم يجتهدون رأيهم حتى إذا عادوا إليه عرضوا الأمر عليه! فإما أن يقرهم على ما رأوه!.

وإما أن يبين لهم وجه الصواب فيما اختلفوا فيه.

ولم يكن يمارس الاجتهاد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا الأكفاء القادرون العالمون بالقرآن والسنة، ومقاصد الشريعة، القادرون على استنباط الأحكام، المجردون من الهوى.

وخير مثل لذلك سيدنا «**معاذ بن جبل**»!

فقد روى أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال له:

«**كيف تصنع إن عرض لك قضاء ؟!**.

قال: أقضى بما فى كتاب الله.

قال: «فإن لم يكن فى كتاب الله ؟».

قال: فبسنة رسول الله.

قال: «فإن لم يكن فى سنة رسول الله!»

قال: أجتهد رأيى لا آلو (لا أتواني).

قال معاذ: فضرب رسول الله ﷺ صدرى، وقال:

«**الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله**[1]»

وبهذا نعلم أن الاجتهاد إنما يباح فى الحالات الآتية:

1 - إذا لم يكن هناك نص من القرآن أو السنة.

2 - إذا كان هناك نص، ولكن دلالته غير قاطعة[2].

3 - إذا كان هناك نص، ولكن ثبوته غير قاطع[3].

---

(1) رواه الترمذى، وأبو داود.

(2) كما فى الحديث الذى رواه البخارى: «لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة» فصلاه بعضهم حين أدركه فى الطريق لأنهم فهموا أن الرسول يريد الإسراع وقد أسرعوا، وتوقف بعضهم عن الصلاة حتى يأتوا بنى قريظة. ولم يعنف واحدا منهم على اجتهادهم.

(3) كحديث ضعيف لم تثبت صحته نظرا لروايه.

ومعنى هذا أن للمسلم أن يأخذ بظاهر النص، وصريح العبارة، وله أن يستنبط من المعانى ما يتحمله النص: وهذا هو الفقه.

ماذا يراد بالفقه و الفقهاء ؟

«ذكر ابن الأثير فى نهاية غريب الحديث والأثر»؛ فى حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ دعا له فقال:

«**اللهم فقهه فى الدين، وعلمه التأويل**» أى: فهمه

يقال: فقه الرجل ـ بالكسر ـ يفقه فقها؛ إذا فهم العلم.

والفقه فى الأصل: الفهم؛ يقال: فقه.

وفقه ـ بالضم ـ يفقه إذا صار فقيها عالًما».

وقد جعله العرف خاصًا بعلم الشريعة، وتخصيصا بالفروع منها.

وفى حديث سلمان أنه نزل على نبطية بالعراق، فقال لها:

هل ها هنا مكان نظيف أصلى فيه ؟!

فقالت: «طهر قلبك، وصل حيث شئت!

فقال: فقهت؛ أى: فهمت. وفطنت للحق، والمعنى الذى أرادت»

وآيات الأحكام، وأحاديث الأحكام، وهى الأدلة التى يعتمد عليها الفقيه فى استخراج الأحكام، واستنباطها. وهذه الأحكام التى تتضمن الحلال والحرام، تسمى «فقها»، وقد جاء فى صحيح البخاري:

«**من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين**».

فالفقه إذن هو!

معرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين بالوجوب، والحظر، والندب،والكراهة، والإباحة، واستخراجها من الأدلة.

وكان الذين يستخرجون تلك الأحكام من تلك الأدلة فى صدر الإسلام يسمون «**القراء**».

فلما اتسعت الفتوح، «**وكمل الفقه**» وأصبح علما أطلق عليهم الناس «**الفقهاء والعلماء**».

والفقهاء جميعا يعتمدون على القرآن وماصح لديهم من السنة فى إصدار أحكامهم، ولا يكادون يختلفون فى هذين المصدرين.

وهم متفقون على الأصول، ولا يختلفون إلا فى الفروع؛ فالصلاة والزكاة، والصوم، والحج فريضه عند الجميع، وخلافهم فى الفروع طبقا لما صح لديهم من حديث.

ولقد كان ذلك حين اتسعت الدولة الإسلامية، وجدت فى كل إقليم مشكلات تختلف عن غيره نظرا لاختلاف العرف، العادات، نظم التجارة والمعاملات.

وحين وجد الأئمة أنفسهم ـ كل فى مكانه ـ أمام مشكلات لا عهد لهم بمثلها، ولم يجدو نصًا من القرآن أو السنة يحكمون بمقتضاه ـ اجتهدوا فى إطار الحدود التى رسمها الدين، وأدى ذلك إلى تعدد الرأى فى المسألة الواحدة.

ولقد وجدوا أنفسهم أمام نصوص من القرآن أو السنة تحتمل أكثر من تفسير مقبول....

وهناك أحاديث وصلت إلى بعض الفقهاء فحكم بناء عليها، ولم تصل إلى بعض الآخر، فاجتهد رأيه.

وهناك أحاديث وصلت إليهم جميعا، ولكنهم اختلفوا فى صحة إسنادها إلى رسول الله ﷺ، أو فى وجهة النظر فى فهمها! من هنا نشأت المذاهب، وتعددت الآراء، وكان هذا الاختلاف ظاهرة صحية حتى قيل: «**اختلافهم رحمة.....**»

وقيل: «**اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية**»، فرأينا أبا حنيفة بالكوفة يمدح مالكا بالمدينة.

ورأينا مالكا بالمدينة يأخذ بيد الشافعى ويفيض عليه من علمه....

ورأينا أحمد بن حنبل يمدح الشافعى ويحزن على فراقه!

وحين جاءت الدولة العباسية بعد الأموية وجد:

1ـ أن «**أهل الحجاز**» يرجحون جانب «**الأخذ بالحديث**» لكثرة رواته بينهم. ولوجود كثير من الحفاظ معهم، ومجتمعهم لم يطرأ عليه جديد.

وإمامهم فى هذا: «**مالك بن أنس إمام دار الهجرة**»، ومفتى الأمة الذى قيل فيه: «**أيفتى ومالك فى المدينة؟!**»

2ـ أما «**أهل العراق**»؛ فإنهم نظرا لاختلاط العرب بغيرهم وفيهم غير الأمين على الدين حيث انتشر وضع الحديث والكذب على رسول الله ﷺ من أعداء الدين، وغيرهم من المتربصين!

نظرا لهذا فإنهم رجحوا الأخذ بإعمال الرأى فيما لم يصح فيه حديث عندهم! وأخذوا يقيسون ما لم يصدر فيه حكم على غيره مما صدر فيه حكم عند وجود علة مشتركة بينها.

وإمامهم فى مذهبهم هذا: «**أبوحنيفة النعمان**»، وبهذا كان العراقيون أهل الرأى.

وما هى إلا سنوات حتى دخل أهل الحجاز العراق، واطلع كل فريق على ما عند الآخر، وتساوى الفريقان: أهل الحديث، وأهل الرأى فى معرفة ما صح من الحديث، وعند ذلك نشأ مذهب وسط بينهما هو «**مذهب الإمام الشافعي**» الذى نشأ بالحجاز، وأخذ العلم على يد مالك، والتقى بالعراق بأصحاب أبى حنيفة، وختم حياته بالسفر إلى مصر ليكون مذهبه من واقع تجاربه، وعلى ضوء من سبقوه.

وجاء الإمام أحمد بن حنبل بعده ليجمع سنة الرسول الله ﷺ فى مسنده الذى جعله للناس إماما.

وصارت هذه المذاهب الأربعة منارة للناس فى معرفة أحكام دينهم، وشريعة ربهم على مر الزمان.

ولا غنى لكل ناشئ عن معرفة أحكام دينه، وعلوم الفقه والسنن.

فتعال نتابع رحلتنا مع الأئمة الأربعة وفقههم.

إلى طالب علوم الفقه والسنن

يقول القاضى عياض ـ رحمه الله ـ:

يا سائلا عن حميد الهدي والسنن
اطلب ـ هديت ـ «علوم الفقه، والسنن»
واسلك سبيل الألى حازوا نهى وتقى
كانوا، فبانوا حسان السر والعلن
هم الأئمة والأقطاب ما انخدعوا
ولا شروا دينهم بالبخس والغبن
أصحاب خير الورى أخبار[1] ملته
خير القرون، نجوم الدهر والزمن
من اهتدى بهداهم مهتد، وهم
نجاة من بعدهم من غمرة الفتن
وتابعوهم على الهدي القويم هم
أهل التقى، والهدى، والعلم، والفطن
فـاخـتر لدينك ذا علم تقلده
مشهر الذكر فى شـام، وفى يمن

(1) الأحبار: جمع حبر، وهو العالم.

حـوى أصـولهـم، ثم اقتفى أثرآ
نهجا[1] إلى كل معنى رائق حسن

والآن هيا إلى الرحلة المباركة، مع الإمام مالك

نحن اليوم مدعوون فى رحلة لمصاحبة أحد «**الأئمة الأربعة**» الذين رفعوا لواء «**الفقه الإسلامي**» وظل مرفوعا حتى يومنا هذا.

وكم يود المرتحلون أن تكون لديهم فكرة مصاحبة عن المكان، والزمان، والشخصية التى سوف نرحل للقائها ومعايشتها، والتخلق بأخلاقها، والتفقه بفقهها؛ حينما يتوقف بنا قطار الزمن فى نفق التاريخ عند «**ذى المروة**» إحدى ضواحى المدينة المنورة حيث ولد:

«**مالك بن أنس بن مالك الأصبحي**»!

وعندئذ نجد أنفسنا فى أوائل العقد الأخير من «**القرن الأول الهجري**» لنشهد مولد إمامنا «مالك» سنة ثلاث وتسعين من هجرة المصطفى ﷺ.

وياله من ميلاد سعيد فهذا الوليد يتصل نسبه ـ من جهة أبيه بـ«**ذى أصبح**» أحد الملوك الحميريين اليمنيين أقوى القبائل اليمنية فى الجاهلية!

ألا ما أعظم هذا اللقاء!

فى هذا اللقاء التاريخي، يتاح لنا أن نتلقي مع إمام دار الهجرة (**المدينة المنورة**)!

وسيد فقهاء أهل الحجاز.

مع شخصية لها مكانها، ومكانتها، ووجودها، وحضورها عند المسلمين جميعًا فى ماضيهم وحاضرهم!

(1) نهجا: سالكا.

إنه فقيه الأمة، وأحد أئمة أرباب المذاهب و المؤسسين لها!

وشيخ الإسلام..

وعالم المدينة الحافظ المجتهد[1].

وأمير المؤمنين فى الحديث؛ كما وصفه بذالك يحيى بن معين.

وفى هذا اللقاء نلتقى بأبناء الإمام:

يحيى، ومحمد، وحماد!

ولايفوتنا أن نتابع بقية ذرية الإمام من الإناث، فقد كانت له بنت سماها: «أم البنين فاطمة»، فتعال نتابع إمامنا فى نشأته الأولى!

نشأته

نشأ الإمام «مالك» فى أسرة عربية فأبوه «مالك بن أنس»، وأمه «العالية بنت شريك» عربيان يمنيان!

وللبيئة أثرها فى حياة الناشئين، فقد نشأ إمامنا فى أسرة اتجه معظم أفرادها إلى طلب العلم، ورواية الحديث!

والعرب يقولون «**الشيء من معدنه لا يستغرب!**» فجده الأعلى أبو عامر صاحب رسول الله ﷺ صاحبى جليل شهد مع الرسول ﷺ غزواته ما عدا بدرًا وجده «**مالك الأصبحي**» من أكبر علماء التابعين، روى عن عمر بن الخطاب، وعثمان وغيرهما.

وتلقى عليه العلم أبناؤه، ومنهم أنس والد مالك الذى كان «مقعدًا»، واحترف «**صناعة النبل**»، غير أنه كان يحب العلم ويقف وراء ابنه مشجعا.

وقد تلقى العلم على يد الجد مالك: نافع عم إمامنا، والنضر أخوه الأكبر الذى نال مرتبة عالية فى الفقه ورواية الحديث!

(1) الحافظ من حفظ مئة ألف حديث متنا وإسنادا، ولو بطريق متعددة ووعى ما يحتاج إليه.

وكان لتشجيع أمه «**العالية بنت شريك**» أثره الواضح فى صنع مستقبل مالك، يوم أن أدخلته الحمام، وألبسته أحسن الثياب، وعممته وطيبته واختارت له حلقة «**ربيعة الرأي**» ليتلقى الحديث والفقه والتفسير على يديه!

وكانت حلقة «**ربيعة**» واحدة من سبعين حلقة تلتف حول أعمدة المسجد النبوى، يقوم عليها سبعون من أعمدة العلم فى المدينة المنورة.

ولقد قالت له: «**اذهب إلى ربيعة الرأى فتعلم علمه قبل أدبه**» وكان ربيعة أكبر فقيه يجتهد رأيه ليستنبط الحكم حينما لا يجد نصا من كتاب الله، أو حديث رسول يدل دلالة قاطعة عليه!

فهو أكثر العلماء ـ آنئذ ـ دعوة إلى الاجتهاد، والأخذ بالرأى من أجل ذلك سمى: «**ربيعة الرأي!!**».

ولقد تعود الصبى مالك منذ ذلك أن يستحم ويتطيب كلما جلس يتعلم أو يعلم.

لقد وضعت أمه أقدامه على الطريق..طريق العلم والعلماء والأئمة النجباء!

وياله من طريق!

من سلكه، وأخلص لله تعالى واتقاه، علمه ووقاه!

قال تعالى فى التنزيل العزيز:

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: 282]

ولم يقتصر مالك على حلقة ربيعة وحده، فقد بهر ما فى الحلقات الأخرى من «**فنون العلم**» وحام محلقا حول تلك الحلقات يمتص الرحيق من كل نبع، ثم يعود إلى شيخه ربيعة بين الحين والحين!

ولقد أدرك «**مالك**» خيار التابعين، والعباد فلقيتهم، وسمع ما عندهم!

ومازال يدأب فى تحصيل العلم، وجمع السنة حتى صار حجة من حجج الله فى أرضه، وضرب به المثل فى الفتوى فقيل: «**أيفتى ومالك بالمدينة؟!**».

ولقد عرف الخلفاء قدره فأجلوه، وحملوا إليه العطايا والأموال!

ولم تسلم حياته من «محنة» عاشها، فقد سعي به إلى «**عامل الخليفة المنصور**» بالمدينة فجرده، وضربه سبعين سوطا!!

ولما بلغ «المنصور» ما حدث له على يد «**عامله**»[1]، **غضب على «عامله» وعزله، وأتى به إلى بغداد مهانا جزاء ما فعل بإمام له شأنه!**

وعندما لقى المنصور مالكا فى موسم الحج اعتذر إليه، واسترضاه، واستسمحه.

وفاتحه فى كثير من مسائل الدين!

وطلب منه أن يجمع ما ثبت لديه من أحاديث رسول الله ﷺ، ويدونه فى كتاب ويوطئه للناس، بحيث يكون فى متناول الجميع، مناسبا لمداركهم، ليعلموا بما جاء فيه!

فاعتذر!

ولكن المنصور لم يقبل عذره!

فألف مالك كتابه فى الحديث والفقه!، ووطأه وسهله للناس وسماه «الموطأ» أى المسهل الممهد!

وعندما جاء ولي عهد المنصور: «**المهدي**» حاجًا سمعه منه!

وأمر له بخمسة آلاف دينار!

ولتلاميذه بألف دينار!

ولم يلبث أن مات المنصور، وزاحم «**فقه أهل العراق**» فقهه!

(1) واليه على الدينة، يسمى الولاة عمالا على الأقاليم.

فكان فى العراق «أهل الرأي» وعلى رأسهم «**أبو حنيفة النعمان**»!
وله مذهبه ومقلدوه، وتابعوه!

وكان فى المدينة «**أهل الحديث**» وعلى رأسهم «**مالك بن أنس**»! وله مذهبه ومقلدوه، وتابعوه!

ولكن ذلك لم يمنع «**الرشيد**» من أن يرحل هو وأولاده إلى الإمام مالك بالحجاز ليسمع «**موطأه**»، فسمعه وأغدق عليه!

وكان مالك أول أمره فقيراً ..

فلما كثرت منح الخلفاء له حسن حاله، فأظهر نعمة الله عليه، ووصل أهل العلم، وأشركهم فى ماله ومنهم «الشافعي»!

وكان الإمام مالك قمة من قمم الكرم، والتواضع، والوقار، والهيبة، والحب لرسول الله ﷺ!

حتى إنه لم يكن يركب دابة فى المدينة إجلالاً لأرض ضمت جسد رسول الله ﷺ. ونظل مع الإمام نتابع خطاه حتى يلقى الله فى سنة 179 هـ بالمدينة المنورة!

وإذا نحن بالبقيع «مقبرة المدينة المنورة» نترحم عليه! ونرجو الله أن يجزيه عما قدم للإسلام والمسلمين خير الجزاء، إنه سميع قريب مجيب الدعاء!

فتعال نبدأ رحلتنا مع الإمام من حيث بدأ.

محمد إبراهيم سليم

بيئة الأمام!

كانت المدينة المنورة ـ العصر النبوي ـ مركز الخلافة، ومنشأ الأخيار من الأمة، وأفق شمس المعارف الدينية!

ومنها انتشر النور فى كل البقاع!

وكانت المدينة وطن الفقهاء السبعة المشهورين من التابعين، أهل العلم والفتوى!

وظل أهلها يروون السنة عن آبائهم وأجدادهم خلفا عن سلف، وجيلاً بعد جيل!

كانوا متوافرين فيها إلى «**عصر مالك**» ففتح عينيه على علم هؤلاء جميعاً، وورث علمهم!

فليس عجيبًا أن يجد فى التحصيل والرواية.. وأن يأخذ العلم عن نحو مئة شيخ!

انتقاهم، واختارهم، وتلقى العلم على أيديهم حتى نبل قدره، وفاق أهل زمانه! فكيف تم له ذلك ؟!

من هنا كانت البداية!

حفظ مالك فى صغره القرآن الكريم كغيره من الناشئين فى ظلال الدين!

ثم اتجه إلى «**الحديث الشريف**» الذى كان موضع اهتمام علماء المدينة وأهلها!

ولقي من أسرته، والمحيطين به كل التشجيع على «**دراسة الحديث وحفظه**» حتى أمه «**العالية بنت شريك**» التى كانت من فضليات النساء الصالحات وجهته إلى طلب العلم، فاستجاب لنصيحتها، ولبى طلبها ورغبتها حين قالت له:

«**اذهب فاكتب**».. تريد الحديث!

ثم قالت له مرة أخرى:

اذهب إلى ربيعة (**ربيعة الرأى وكان من أبرز علماء المدينة**) فتعلم علمه قبل أدبه!

وهكذا كانت البداية أخذ العلم على الأفذاذ ـ وهو حدث صغير ـ على «ربيعة الرأي» وقد ظل يلازمه حتى لقي ربه سنة 136 هـ.

ويعبر مالك عن حبه له، إقباله عليه، واستفادته منه حتى مماته!

بقوله: «**ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة!!**».

• ومع هذا فقد بهره ما فى «الحلقات الأخرى» فراح ينتقل بينها حلقة بعد أخرى، وشيخا بعد شيخ!

يصغى إلى «**تفسير القرآن**» فى إحدى الحلقات!

ثم ينتقل إلى حلقة أخرى؛ فيحفظ منها «الأحداث النبوية الشريفة» ويتعلم ما ما ترشد إليه وكيفية استناط الأحكام منها!

ويتلقى «**فتاوى الصحابة**» من شيخ، والرد على ما يثار من أفكار وآراء فى العقائد من شيخ آخر.

ثم يعود إلى من هم أغزر علما.

• لقد كان يحمل معه «حشية»[1] تقيه برد الشتاء فى المسجد..

• ولقد دفعه طموحه إلى التماس الشيوخ فى دورهم وعدم الاكتفاء بما يتلقاه منهم فى المسجد!

فلقد عرف منذ صغره بحبه للعلم، وشدة حرصه على جمعه فكان يأتى شيخه «**أبا بكر عبد الله بن يزيد المعروف بابن هرمز**» بكرة[2]، ولا يفارق بيته حتى الليل! وقد لازمه ثمانية أعوام.

(1) الحشية: الفراش المحشو بقطن أو بغيره!

(2) البكرة: بضم الباء وسكون الكاف: أول النهار إلى طلوع الشمس.

وكان ينتظر أحد الشيوخ فى الطريق ساعات لا يجد شجرة تقيه حرارة الشمس.. حتى إذا رأى الشيخ يعود إلى داره انتظر لحظة، ثم قرع عليه الباب!

وكان قوي الحافظة، وفى ذلك يقول:

«كانت أجيء»سعيدبن المسيب، وعروة، والقاسم، وأنا سليمة، وحميدا، وسالما ـ وذكر جماعة غيرهم ـ فأدور عليهم..

أسمع من كل واحد من الخمسين حديثا إلى المئة!

ثم أنصرف، وقد حفظته كله!

غير أنى لا أخلط حديث هذا بحديث هذا»

فسبحان الواهب العظيم!

ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب!

حرص.. ودقة!

لقد كان مالك إذا جلس ليستمع للأحاديث،، وهو صبي يحمل معه خيطًا، فيعقد مع كل حديث عقدة!

حتى إذا كان آخر النهار، أعاد على نفسه الأحاديث، وعد العقد فإن وجد نفسه قد نسي شيئا أسرع إلى شيخه الذى سمع منه، وقرع بابه ليذكره بما نسى!

- لقد كان مالك صحيح التحرى فى رواية الحديث مدققا فى ذلك كل التدقيق!
- كان لا ينتقل إلا عن الأثبات[1] الثقات!
- وكان إذا شك فى حديث ـ أو لآخر ـ طرحه كله!

(1) الأثبات: جميع ثبت ـ بفتح الثاء والباء ـ وهو الحجة الذي يوثق به.

• وكان يقول: ربما وردت علي المسألة فأسهر فيها عامة ليلتى!

• ويقول أكبر تلاميذه ابن القاسم:

إنى لأ فكر فى مسألة منذ بضع عشرة[1] سنة ما اتفق لى فيها رأى إلى الآن!

وهكذا انقطع مالك لطلب العلم وأعطاه كله ليعطيه بعضه!

حتى أصبح ذلك العالم الكبير، المحدث الثقة الذى يرجع الجميع لرأيه، ويعملون بفتواه.. كما نعمل نحن فى أيامنا هذه برأى المفتى وفتاواه!

• لقد طلب مالك «**العلم**» وهو ابن «**بضع عشرة**» سنة.

• وتأهل لـ«**الإفتاء**» وله «**إحد وعشرون**» سنة!

• وحدث عنه جماعة وهو شاب.

• وقصده «**طلبة العلم**» من جميع الأرجاء فى آخر دولة أبى جعفر المنصور الخليفة العباسي!

• وازدحموا عليه فى خلافة الرشيد إلى أن لقى ربه.

وصدق فيه قول رسول الله ﷺ فى الحديث الذى (أخرجه أحمد 2/ 292):

«ليضربن الناس أكباد[2] الإبل فى طلب العلم، فلا يجدون عالما أعلم نت عالم المدينة!»

---

(1) البعض ـ بكسر الباء ـ من الثلاث إلى التسع ويركب مع العشرة.

(2) كناية عن الارتحال فى طلب العلم، فالإبل كانت إحدي وسائل النقل فى المسافات الطويلة من أجل العلم أو غيره.

طلب العلم من المهد إلى اللحد

العلم بحر لا ساحل له!

وفوق كل ذى علم عليم!

من اعتقد أنه قد علم فتلك بداية الجهل..

وهناك منهومان (**جائعان**) لا يشبعان:

طالب علم، وطالب مال..

وقد كان مالك أحدهما!

فقد ظل طالب علم حتى بعد أن أصبح فقيها كبيرًا يسعى إليه الناس من جميع الأجناس!.. من كل أقطار الأرض.. حتى لقي ربه سنة 179هـ وهو فى نحو السادسة والثمانين!

تفرغ!

لقد انقطع مالك لطلب العلم فى شبابه، وكان والده «المقعد» الذى يعمل فى «**صناعة النبل**» يساعده على قدر استطاعته، من عائد تجارته ولكن.. عند صفو الليالى يحدث الكدر!!

لقد مات أبوه، وهو عائله الوحيد!

ونظر مالك،فإذا عليه أن يعول نفسه.. وزوجته.. وبنته.. وعليه أن يواصل المسيرة فى طلب العلم!

إن ما تركه أبوه لايكاد يكفيه..

لقد اضطره الفقر إلى أن يبيع خشبًا من سقف بيته، لينفق على نفسه ومن معه!.. وليعيش! وليواصل المسيرة التى بدأها.. مسيرة العلم والفقه!

وكان الجوع يشتد عليه وعلى آل بيته فتصرخ «**الطفلة**». فيدير «**الرحى**»[1] حتى لا يسمع الجيران صراخها!

واشتد عليه الأمر!

ولم يعد أمامه إلا أن يضحي بطلب العلم، وينصرف إلى البحث عن مصدر للرزق! وأخذ يفكر فى مستقبل العلم و طلابه!!

إن طالب العلم فى سبيل الله!، فلم لا يوفر له المسئولون حياة كريمة شريفة تتيح له التفرغ لمواصلة المسيرة ؟!

ولكن «**دولة بنى أمية**» آنذاك كانت مشغولة بتثبيت أركانها، فضاعت صرخته فى واد، ولم يلتفت إليه أحد!!

رعاية الله!

ولكن الله سبحانه وتعالى ـ هيأ لمالك فى تلك الفترة القاسية من حياته طالب علم ثريا من مصر هو: «**الليث بن سعد**» اعتاد أن يحج بين عام وآخر، ويزور المدينة، ويلتقى بعلمائها، وفقهائها، ومشايخها، ويجلس إلى حلقات الفقهاء بالمسجد النبوي الشريف، يسمع منهم، ويتلقى عنهم، ويأخذ ما عندهم من علم وفقه!

و «**الأرواح جنود مجندة.**

ماتعارف منها ائتلف!

وما تناكر منها اختلف!».

ويشاء الله ـ عندما كان لقاء بينهما ـ أن يتآلفا، ويتحابا، ويعجب كل منها بذكاء الآخر، وعلمه وفقهه!

لقد ألقى الله قلبيهما مودة، ورحمة..

ولا تعجب فتلك عناية الله وإرادته!

---

(1) الرحى: أداة يطحن بها، وهى حجران مستديران، يوضع أحدهما على الآخر، ويدار الأعلى على قطب.

وإذا العناية لا حظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمـان!

واجتاز مالك هذه المحنة، وتغلب عليها بالصبر، حتى أتاه الفرج!

لقد لاحظ «**الليث بن سعد**» أن صديقه مالكا ـ على الرغم من تعففه، وارتدائه ثيابًا أنيقة نظيفة، ورائحة المسك التى تسبقه ـ فقير يعانى ضيق ذات اليد!

إنه ممن يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف!

وهنا منح الليث صاحبه مالكا ما يمكنه من التغلب على ما يتعرض طريقه إلى استكمال مسيرة العلم!

لقد كان «**الليث بن سعد**» ثريًا واسع الغنى فمنح صاحبه مالاً كثيرا وأقسم عليه أن يقبله!

وحين عاد «**الليث**» إلى مصر ظل على اتصال به يمده بالهدايا والمال حتى جاء اليوم الذى وجد فيه مالك من الخلفاء من استجاب لندائه برعاية طلاب العلم، وإجراء الرواتب عليهم ليتفرغوا له!!

ولعلك تسأل:

لماذا لم يسع مالك فى طلب الرزق وانقطع للعلم ؟

ولقد سئل مالك عن ذالك فقال:

«**لا يبلغ أحد ما يريد من طلب العلم.. حتى يضربه الفقر، ويؤثره على كل حال!**

ومن طلب هذا الأمر صبر عليه!»

ولقد صبر مالك، وظل يصبر حتى يعجز الصبر عن صبره، وعندئذ ظفر بما أراد! والصبر مفتاح الفرج!

وقد قال الشاعر:

لا تحسب المجد تمـراً أنـت آكله

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر[1]!

(1) الصبر ـ مكسور الباء ـ عصارة شجر مر.

ثناء العلماء على صحه روايته

كان مالك ـ رضى الله عنه ـ يقول:

إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه!، ولقد أدركت سبعين ممن كانو يقولون: قال ﷺ، فما أخذت عنهم شيئا!

وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينًا ـ إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن[1]!

- ومن أجل هذا يقول البخارى:

أصح الأسانيد[2] مالك عن نافع عن ابن عمر.

ويقول أبوداود:

أصح حديث رسول الله ﷺ ما يرويه مالك عن نافع عن ابن عمر.

- وأهل الحديث يسمونها: سلسلة الذهب ـ لعظم الثقة بكل واحد من أفرادها.
- ثم ما يرويه مالك عن أبى الزناد، عن الأعرج عن أبى هريرة.
- ويقول ابن مهدى: ما أقدم على مالك فى صحة الحديث أحداً.

كان مالك لا يروي إلا عن الثقات.

وقال ابن معين: لا تبال أن تسأل عن رجال[3] مالك: كل من حديث عنه ثقة.

ويقول الإمام الشافعى: إذا جاءك الحديث عن مالك فشد يدك عليه.

(1) أى لم يكونوا أهلا لأخذ الحديث عنهم، وروايته!

(2) الأسانيد: جمع سند والسند هم رواة الحديث، أما الحديث فهو: المتن.

(3) أى الرجال الذين روى عنهم الحديث ووثق بهم ، واعتمدهم.

• ويقول الإمام الذهبى فى طبقات الحافظ.

وقد اتفق لمالك مناقب ما عملتها اجتمعت لغيره:

أحدها: طول العمر، وعلو الرواية[1].

وثانيها: الذهن الثاقب، والفهم وسعة العلم.

وثالثها: انفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية.

ورابعتها: إجماعهم على دينه، وعدالته، واتباعه السنين.

وخامستها: تقدمه فى الفقه، والقتوى، وصحة قواعده[2].

• ويقول سفيان بن عيينة:

وما رأيت أحدًا أجود أخذًا للعلم من مالك!

وما كان أشد انتقاءه للرجال والعلماء!

• وحين بلغت سفيان وفاته قال:

ما ترك على الأرض مثله!

لقد كان مالك يجد فى المدينة المنورة ريح النبوة، ويستعيد أيام النور والوحى البطولات، وذكريات الماضى الجميل!

وكيف لا وأهل المدينة من حوله مازالوا يتوارثون سنته الشريفة ﷺ فى القول والعمل، وكأنه مازال حيا بينهم!

إن عملهم ما هو إلا اقتداء برسول الله ﷺ جرى عليه الآباء والأبناء، فليكن عمل أهل المدينة سنة تتبع!

وليكن لمدينة الرسول ﷺ ـ التى دفن فيها ـ احترامها!

حكى الشافعى أنه رأى على باب مالك هدايا من خيل خراسانية، وبغال مصرية، فقال الشافعى: ما أحسن هذه الأفراس والبغال!

فقال مالك: هى لك، فخذها جميعًا!

---

(1) بحيث تكون ممن روى عن الرسول ﷺ وسمع منه بقدر الإمكان.

(2) طبقات الحفاظ: 198 ج 1.

فقال الشافعى: ألا تبقى لك منها دابة تركبها ؟!

قال مالك: «**إنى لأستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة!**».

وهكذا كان موقف الإمام مالك من الرسول ﷺ ومن سنته ومن مدينته المنورة التى لم يرحل عنها إلا لحج، ولم يفارقها حتى الممات!

فلا عجب إذا وجدنا من العلماء ثناء عليه!

ثناء العلماء على غزارة علمه!

كما أثنى العلماء على صحة روايته للحديث أثنوا على غزارة علمه!

- كان **الأوزعي** عالم الشام يقول ـ حين يذكر مالك ـ:

هو عالم المدينة، وعالم العلماء، ومفتى الحرمين!

ويقول عنه **أبوحنيفة**:

لقد كان مالك رجلاً جمع فقه أهل الحجاز.

- ويقول **الشافعي**:

مالك أستاذى، وعنه أخذت العلم، وما من أحد أمن علي من مالك.

ولقد جعلت مالكا حجة بين وبين الله!

وإذا ذكر العلماء، فمالك النجم الثاقب.

- ويقول **بشر الحافى**:

إن من زينة الدنيا أن يقول الرجل: حدثنا مالك.

- وسئل عنه أحمد بن حنبل، فقال: هذا حديث صحيح ورأي صحيح!

وذكر الإمام **أحمد بن حنبل** مالكا فقدمه على الأوزاعي، والثوري، والليث، وحماد فى العلم.

وقال: «**هوه إمام فى الحديث وفى الفقه**».

وقال ابن معين: «**مالك من حجج الله على خلقه**».

وقال القطان: «**هو إمام يقتدى به**».

وقال أسد بن الفرات:

«**إذا أردت الله والدار الاخرة فعليك بمالك!**».

فلا عجب إذا لقب مالك بإمام الأئمة!

إمام الأئمة

ينفرد مالك بأن بعض رواته كانوا من أقرانه أو ممن يكبره سنا!!

والعادة أن يروى عنه من هو دونه!

فقد روى عنه الأوزاعي، وسفيان بن سعيد الثوري.

والليث بن سعد المصرى، وسفيان بن عيينة.

كما روى عنه الإمام أبو حنيفة وصاحباه: أبو يوسف ومحمد.

بل لقد روى عنه من شيوخه:

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري.

وربيعة بن عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأى.

ونافع بن عبد الرحمن القارئ، وأبو بكر أيوب السختيانى.

ولهذا لم يكن غريبا أن يلقب مالك بإمام الأئمة!

حق العلم على طلابه!

نصيحة الخبير المجرب، لها قيمتها ووزنها واعتبارها، ولا ينبئك مثل خبير.. ويقول الإمام مالك ـ من واقع تجربته ـ ناصحا طلاب العلم!

حق على من طلب العلم أن يكون له وقار،وسكينة، وخشية!

والعلم حسن لمن رزق خيره.

وهو قسم من الله تعالى[1]، ولكن انظر ما يلزمك حين تصبح إلى حين تمسى، فالزمه!

ولا تمكن الناس من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يوفق للخير!

وإن من شقوة المرء أن لا يزال يخطئ..

وذل وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يعطيه.

ويقول مالك:

كان الرجل يختلف[2] إلى الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه!

دعوة إلى العمل بالسنة التى عاش لها مالك!

- روى الإمام الذهبى عمن سمع مالكا ـ قوله:
- سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننا..
- الأخذ بها اتباع لكتاب الله.
- واستكمال لطاعة الله.
- وقوة على دين الله.
- ليس لأحد تغييرها.
- ولا تبديلها.
- ولا النظر فى شيء خالفها.
- من اهتدى بها فهو مهتد.
- ومن استنصر بها فهو منصور.

(1) فهذا حظه مال، وذا علم، وذاك مكارم الأخلاق، والله قسم بيننا أخلاقنا وأرزاقنا.

(2) يتردد عليه.

• ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين.
• وولاه الله ما تولى.
• وأصلاه جهنم وساءت مصيرا[1].

السر فى تفوقه على أقرانه!

عرفت أن مالكا كان يتمتع بذاكرة حافظة لاقطة!

وأنه حفظ «**القرآن الكريم**» فى سن مبكرة!

وأنه كان يسمع «**الأحاديث**» فى المجلس الواحد فيحفظها جميعا!

ولقد سمع يقول:

حدثنا «**ابن شهاب الزهري**» ببضعة وأربعين حدثنا، ثم قال: أعدها علي!

فأعدت عليه منها أربعين حديثا!

ولقد أهلته ذاكرته اللاقطة وعقله الناضج المتفتح فى سن مبكرة أن يقف فى صف علماء المدينة فى زمانه بعد رسول الله ﷺ!

ولقد سبقه على الطريق!:

• الصحابي الجليل زيد بن ثابت.
• وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها.
• وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما.
• وسعيد بن المسيب.
• ثم الزهري.
• ثم عبيد الله بن عمر.

وجاء «**مالك**» ليكون للناس إمامًا بعد أولئك الذين سبقوه على الطريق!

(1) الحلية 6/ 324، وفي هذه العبارة اقتباس من الآية رقم 115 سورة النساء.

وإن شئت فقل وأنت على صواب:

لم يكن بالمدينة عالم ـ من بعد التابعين ـ يشبه مالكا فى العلم، والفقه، والهيبة، والحفظ!

فكان مالك هو المقدم فيهم على الإطلاق!

والذى يرحل إليه الناس من جميع الآفاق!

وصحيح أنه لم يرحل فى طلب الحديث، مع أن الرحلة فى ذلك الوقت كانت من السمات المميزة لرجال الحديث، ولعله كان يعتقد أن العلم علم أهل المدينة، وقد قال «**الليث بن سعد**» فى أحدى الرسائل المتبادلة بينهما:

«وإن الناس تبع لأهل المدينة التى إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن».

مالك بعد الأربعين

ها هو ذا قد وبلغ أشده، وبلغ أربعين سنة!

لزم الفقهاء ثلاثين عامًا.. تلقى عنهم الحديث الشريف.. ودقق فيه ومحص..وحقق إسناده لتتأكد له صحته، وعد الة رجاله!

وتدارس مع فقهاء عصره بالمدينة ما ينبغى لاستنباط الأحكام فيما يجد من قضايا ومشكلات لا عهد لهم بها!

وها هو ذا قد أصبح له مذهبه فى «**فقه العبادات والمعاملات**» على ضوء سنة رسول الله ﷺ، وما نقل عن السلف الصالح، وعمل أهل المدينة، وعاداتها بما يحقق المصلحة ، ويدرأ المفسدة!

ولقد طاف على «**سبعين**» من أصحاب الحلقات والشيوخ فى المسجد النبوي، يعرض عليهم فقهه، ويستأذنهم فى أن يجعل له حلقة خاصة يفتى فيها الناس.. وأجازه الجميع ورضوا عنه!

روى الإمام الذهبي أن خلف بن عمر سمع مالكا يقول:

ما أجبت فى الفتوى حتى سألت من هو أعلم منى:

هل تراني موضعا لذلك ؟!

سألت ربيعة..

وسألت يحيى بن سعيد

فأمر انى بذلك!

فقلت: فلو نهياك ؟!

قال: «**كنت أنتهى. لا ينبغى للرجل أن يبذل نفسه، حتى يسأل من هو أعلم منه!**».

إن الذين ارتحلو فى طلب الحديث لم يكن نصيبهم أكثر مما حصله مالك منه!

فلقد كانت المدينة ملاذ العلماء، ولم يخل محدث ممن ارتحلوا من المرور بها لزيارة صاحب القبر الشريف، ولتلمس العلم من مكانه، والحديث من مصدره فالتقى مالك بأكثرهم، واستفاد منهم! ولم يكن فى حاجة إلى الرحلة بعد أن ارتحل الجميع إليه!!

وليس أدل على حبه للمدينة، وتمسكه بكل ما فيها مما روي أن الخليفة المهدي لما قدم المدينة بعث إلى مالك بألفى دينار، وقيل:

بثلاثة آلاف، ثم أتاه «الربيع» حاجب الخليفة فقال له:

إن أمير المؤمنين يحب أن تصاحبه إلى دار السلام (بغداد).

فقال له مالك:

قال رسول الله ﷺ: «**والمدينة خير لهم لو كانو يعملون**»!

لقد اختار له سكنا دار الصحابى عبد الله بن مسعود!

و اختار المكان الذى كان يجلس فيه عمر ين الخطاب!

إنه حريص على ان يعيش عصر النبوة و يستلهم الروح التى سرت فيه، ويقتدى بهداهم!

و لقد أسس داره بأجمل أثاث و زينها بأحسن زينة و ملأ أجواءها بالطيب و العطر و البخور- بعد أن أغدق الخلفاء عليه - تقديرا منهم لدرس الحديث، ولصاحب الحديث ﷺ!

فى مجلس الحديث!

• كان مالك - رضى الله عنه - إذا أراد أن يحدث اغتسل، وسرح لحيته وتطيب بأحسن الطيب!

وجلس متمكنا فى جلوسه على صدر فراشه، بعد أن يلبس أحسن ثيابه، ويتبخر، فإذا له هيبه، وعليه وقار، ولما سئل قال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث إلا متمكنا على الطير!

• و يقول ابن المبارك:

كنت عند مالك، وهو يحدثنا حديث رسول الله ﷺ، فلدغته حشرة كالعقرب مرات، فيتغير لونه، و يصفر، ولا يقطع الحديث!

فلما فرغ من المجلس، وتفرق الناس قلت:

يا أبا عبد الله، لقد رأيت منك اليوم عجبا! قال: نعم!

إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله ﷺ.

ومما يتصل بهذا الأجلال أنه لم يكن يركب دابة فى المدينة المنورة تكريما لأرض ضمت جسده الشريف ﷺ.

وكان من تقاليد مجلسه حين يحدث الناس بحديث رسول الله ﷺ أن يمنع رواد حلقته من رفع أصواتهم فوق صوت حديث النبى ﷺ، فلا صوت

يعلو عليه! امتثالا لقول الله تعالى، وتأدبا بأدب الإسلام حديث نهانا الله أن لا نقدم قولا أو فعلا بين يدى الله ورسوله فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات 1-3] لقد ألف الناس كلما دخلوا المسجد النبوى بعد الصلاة الفجر أن يجدوا إماما مهيبا يحدث فى صوت صادق، وكان قد خصص أياما لشرح الحديث النبوى الشريف وأياما للمسائل والفتيا، وعندما تقدمت به السن عقد حلقات الدرس فى بيته!

قال الواقدى: كان مالك يجلس فى منزله على ضجاع،[1] ونمارق مطروحة يمنة و يسرة فى سائر البيت لمن يأتى..

وكان مجلسه مجلس وقار وحلم.. وكان مهيبا نبيلا..

ليس فى مجلسه شىء من المراء[2] واللغط..

وكان الغرباء يسألونه عن الحديث بعد الحديث..

وربما أذن لبعضهم فقرأ عليه..

وكان له كاتب يقال له: «حبيب» قد نسخ كتبه، ويقرأ للجماعه..

فإذا أخطأ فتح عليه مالك (ساعده فى معرفة الصواب).

وكان ذلك قليلا.

وقصده الناس من كل فج عميق لأخذ العلم عنه.

وشهد له التابعون بالفقه و الحديث والورع.

(1) وسائد صغيرة يضطجع عليها، ويتكأ، والنمارق: جمع نمرقة. وهى كالضجاع.

(2) المراء: الجدال، واللغط: الصوت والجلبه، و فى المثل: من كثر لغطه كثر غلطة.

وقد روى عنه أنه قال: «**كتبت بيدى مئة ألف حديث**».

وانتصب للإفتاء والرواية مايقرب من سبعين سنة.

وروى عنه أهل الحجاز، واليمن والعراق، وخراسان، والشام، ومصر، وإفريقية، والأندلس، وعملوا بفقهه!

وكان الناس يزدحمون على أبواب مالك، ويقتتلون عليه من الزحام:

أى: لطلب العلم، ولعلنا نذكر أنه «لم يجلس للفتيا ورواية الحديث حتى شهد له سبعون شيخًا من كبار علماء الحجاز بأنه أهل اذلك!

وفى ذلك يقول حماد بن سلمة:

لو قيل: اختر لأمة محمد ﷺ «**إماما**» يأخذون عنه دينه ـ لابد من ذلك:

لرأيت مالكا لذلك موضعا، ورأيت فى ذلك صلاحا للأمة!

- وكان يقول: «**إذا مدح الرجل نفسه ذهب بهاؤه**».
- وكان موضع ثقة: فإذا قال فى المسألة: «**لا**» أو «**نعم**»، لا يقال له: من أين قلت هذا ؟!
- ولقد أخذ العلم عن تسع مئة شيخ، منهم ثلاث مئة من التابعين.
- وكان يقول: «**ليس العلم بكثرة الرواية، إنما هو نور يضعه الله فى القلب**».
- وقيل له: ما تقول فى طلب العلم ؟
- فقال: حسن جميل، ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى أن تسمى فالزمه.
- قال مالك – رضى الله عنه – لمطرف:
- ماذا يقول الناس فى ؟!
- فقال: أما الصديق فيثنى، وأما العدو فيقع (يناله بلسانه)
- فقال: «**مازال الناس هكذا: لهم عدو، وصديق!**

ولكن نعوذ بالله من تتابع الألسنة كلها!»

الإمام مالك وكأنك تراه!

• كل منا يتخيل صورة لشيخه و إمامه كلما ذكر أقواله و أفعاله، وكأنما يراه يتحدث إليه، ويحاوره فيما رآه!

• وقد قال أحد رواد حلقته:

ما رأيت بياضا، ولا حمرة احسن من وجه مالك، ولا أشد بياض ثوب من مالك!

كان طوالا[1] ..جسيما.. عظيم الهامة (الرأس).. أشقر.. أبيض الرأس واللحية.. أصلع، وكان لباسه الثياب العدنية الجياد!

• وقيل: كان من أحسن الناس وجها.. وأحلاهم عينا.. وأنقاهم بياضا و أتمهم طولا فى جودة بدن!

• وكان إماما فى نقد الرجال، حافظا، مجودا متقنا لايروى إلا عمن هو ثقة!

سئل عن رجل فقال: هل رأيته فى كتبى ؟!

فقال سائله: لا.

فقال مالك: لو كان ثقة لرأيته فى كتبى! وعلى رأس تلك الكتب كتابه الذى ضم الفقه والحديث، ووطأه، وسهله للناس وسماه «الموطأ» ولم يضمنه من الحديث إلا ما صح لديه، و اطمأن إلى عدالة رواته، وفى ذلك يقول: ربما جلس إلينا الشيخ، فيحدث[2] جل نهاره، ما نأخذ عنه حديثا واحدا!!

وما بنا أن نتهمه، ولكن لم يكن من أهل الحديث!

---

(1) الطوال – بضم الطاء وفتح الواو – الطويل.

(2) يحدث –بالدال المشددة – يروى الحديث عمن رواه عن رسول الله ﷺ و الجل – بضم الجيم – معظم الشىء و أقل من الكل،وفق النصف!

ومناقبه[1] كثيرة، ومن يرجع إليها ير فيها العجب العجاب، ويتحقق مما كان عليه السلف الصالح من علم، وعمل، وجهاد فى عبادة، و قوة يقين، وإخلاص نية، و شدة تمسك، ونهاية ورع، وكمال نزاهة عن الدنيا، وما فيها من كنوز!

نسأل الله أن يوفق علماءنا للاقتداء بسيرة أعلامهم، والتأسى بأخلاقهم، وعزة نفوسهم، و صبرهم!

عناية الناس بالموطأ

الموطأ: كتاب فى الفقه والحديث، وطأه مالك وسهله ليكون فى متناول المسلمين جميعا.

ولقد حظى هذا الكتاب الجليل بمكانة عظيمة فى مشارق الأرض ومغاربها وذلك لعدالة مؤلفه، و ثقته، وسعة علمه، وجلالة قدره!،

و يعد الموطأ أقدم كتب الحديث، و أجلها قيمة وأبلغها أثرا، وكيف لا، وقد رحل إليه الخلفاء والأمراء لتلقيه عنه ؟!

ورواه عن صاحبه الإمام مالك بن أنس – بغير واسطة – أكثر من ألف رجل ورحل إليه العلماء من أقاصى البلاد وأدانيها.

فمنهم المبرزون فى العلم، والمشار إاليه فى المكانة والنسهم، ألا وهو الإمام الجليل، و الحبر النبيل أبو حنيفة النعمان بن ثابت مؤسس المذهب وصاحباه: أبو يوسف بن إبراهيم القاضى، ومحمد بن الحسن الشيبانى.

وعبد الرحمن بن مهدى، والإمام أحمد بن حنبل.

والإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى مؤسس المذهب، والواضع قواعد الأصول، وغير هؤلاء من الأئمة الأعلام.

(1) جميع منقبة، وهى الصفات الحسنة!

وقال الحافظ السيوطى: الحظ الذى حصل لمالك ممن روى عنه لم يحصل قط لغيره، فإنه روى عنه الأكابر من كل طائفة من حفاظ الجديث والفقهاء.

ومن أئمة المذاهب المتبوعين:

أبو حنيفة، والشافعى، والأوزاعى، وسيفان الثورى.

ومن الخلفاء: أمير المؤمنين المنصور، والمهدى، والهادى، والرشيد، والأمين، و المأمون.

ومن أقرانه جماعة، ومن شيوخه جماعة منهم الزهرى.

مما يدل على أن الإمام مالكا ليس فقيها فحسب، بل هو كذلك من رجال الحديث.

منزلة موطأ مالك

• يقول منير الدمشقى – رحمة الله عليه –: كتاب «الموطأ» هو الأصل فى هذا الباب، والمعول عليه، والأم عند أولى الألباب!

• وقال الإمام الشافعى: «**ما على ظهر الأرض بعد كتاب الله أكثر صوابا من موطأ مالك**»

وفى لفظ: «**ما بعد كتاب الله أنفع من الموطأ**»

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن أحمد بن حنبل – وسئل عن كتاب مالك ابن أنس –:

فقال: **ما أحسنه لمن تدين به!!**

وعن ابن وهب قال: «**من كتب موطأ مالك، فلا عليه أن لا يكتب من الحرام والحلال شيئا**»

وقال القاضى أبو بكر بن العربى فى كتابه «القبس» شرح موطأ مالك بن أنس:

هذا أول كتاب ألف فى: شرائع الإسلام، وهو آخره، لأنه لم يؤلف مثله؛ إذا بناه مالك على تمهيد الأصول للفروع، ونبه فيه على معظم أصول الفقه التى يرجع إليها فى مسائله، وفروعه.

وقال العلامة الدهلوى: كتاب الموطأ أصح كتب الفقه وأشهرها، وأقدمها، وأجمعها..

والموطأ عدة مذهب مالك وأساسه.

وعمدة مذهب الشافعى وأحمد وراسه.

ومصباح أبى حنيفة ونبراسه.

وهذه المذاهب بالنسبة للموطأ كالشروح للمتون وهو منها بمنزلة الدوحة من الغصون!

فلا عجب إذا كان للخلفاء موقف عظيم من هذا الموطأ الذى جعله مالك للناس إماما!

مالك والخليفة المنصور

ذكر ابن سعد عمن سمع مالكا يقول:

لما حج المنصور دعانى فدخلت عليه.. فحادثته وسألني فأجبته، فقال: عزمت أن آمر بكتبك هذه يعني الموطأ ـ فتنسخ نسخًا.

ثم أبعث إلي كل مصر[1] من أمصار المسلمين بنسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها..

ويدعوا ما سوى ذلك من العلم المحدث!

فأني رأيت «**أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم!!**»

قلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل!؛ فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل.. وسمعوا أحاديث.. ورووا روايات..

(1) بلد.

وأخذ كل قوم بما يسبق إليهم.. وعملوا به من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم..

وإن ردهم عما اعتقدوه شديد..

فدع الناس وما هم فيه..وما اختار أهل كل بلدلأنفسهم!

فقال: لعمري[1] لو طاوعتنى لأمرت بذلك.

وكم كان مالك على حق!

فقد رسخ فى قلوب أهل كل بلد ما اعتقدوه وعملوا به..

ورد العامة عن مثل هذا عسير!!

• ويقول الإمام مالك:

قال لى أبو جعفر:

يا أبا عبد الله، ذهب الناس، لم يبق غيرى وغيرك!

• ويقول: دخلت على أبى جعفر، فرأيت غير واحد من بنى هاشم يقبلون يده، وعوفيت، فلم أقبل له يدا.

سيروا إليه، فاقرءوا عليه!

وأخرج ابن عبد البر قال:

قدم المهدي أمير المؤمنين، فبعث إلى مالك، فأتاه، فقال لهارون، وموسى: اسمعا منه، فبعثنا إليه، فلم يجبهما!

فأعلما المهدي، فقال لمالك:

لم امتنعت عليهما ؟!

فقال: يا أمير المؤمنين: العلم نضارة؛ يؤتى أهله!

فقال: صدق مالك، سيرا إليه.

فلما سارا إليه، فقال له مؤدبهما:

(1) قسمى، أو يمينى.

«**اقرأ علينا**».

فقال له مالك:

إن أهل المدينة يقرءون على العالم كما تقرأ الصبيان على المعلم، فإذا أخطئو أفتاهم[1]!

فرجعوا إلى المهدى، فبعث إلى مالك، فقال:

ساروا إليك فمنعتهم من السماع، ولم تقرأ عليهم!

فقال مالك:

سمعت ابن شهاب الزهري يقول:

جمعت هذا العلم من رجال فى الروضة الشريفة، وهم: سعيد بن المسيب، وأبو سلمة، والقاسم بن محمد ونافع، وابن حزم، وربيعة، ويحى بن سعيد.. كل هؤلاء يقرأ عليهم، ولا يقرءون!

فقال: فى هؤلاء قدوة!، فاقرءوا عليهم.

ففعلوا كما أشار عليهم مالك من قبل!!

العلم يؤتى ولا يأتى!!

• وقال له هارون الرشيد:

أريد أن أسمع منك المؤطأ!!

فقال: متى ؟

قال مالك: غدًا إن شاء الله!

فجلس هارون ينتظر!

فلما أبطأ مالك على الخليفة هارون الرشيد، أرسل إليه فدعاه، فقال له:

(1) كان مالك ـ رضى الله عنه ـ يرى أن قراءة الرجل على العالم أثبت من قراءة العالم عليه!

يا أبا عبيد الله، مازلت أنتظرك منذ اليوم!!

فقال مالك:

وأنا أيضًا يا أمير المؤمنين، لم أزل أنتظرك منذ اليوم!

إن العلم يؤتى، ولا يأتى!

وابن عمك[1] هو الذى جاء بالعلم!

فإن رفعتموه ارتفع!

وفى رواية أخرى:

أن هارون الرشيد لما قدم وجه البرمكي[2] إلى مالك، وقال له:

احمل إلى الكتاب الذى صنعته، حتى أسمعه منك!

فقال مالك للبرمكي:

أقرئه السلام، وقل له: إن العلم يزار ولا يزور، وإن العلم يؤتى ولا يأتى!

فرجع البرمكي إلى هارون فقال له:

يا أمير المؤمنين، يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك فى أمر، فخالف!

اعزم عليه[3] حتى يأتيك!

فإذا بمالك، قد دخل عليه، وليس معه كتاب، وأتاه سلمًا،

فقال: يا أمر المؤمنين..

---

(1) يقصد النبى ﷺ، فهو ابن عبد الله بن عبد المطلب، وأخوه الذي ينتسب إليه العباسيون هو العباس ابن عبد المطلب. فهم أبناء عم.

(2) يحيى البرمكي وزير.

(3) عزم عليه: أمره، وشدد عليه.

إن الله جعلك فى هذا الموضوع بعلمك، فلا تكن أنت أول من يضع[1] العلم فيصعك الله!

ولقد رأيت من ليس فى حسبك، ولا هو فى أبهتك[2]

يعز هذا العلم ويجله،فأنت أحرى أن تجل وتعز علم ابن عمك!

ولم يزل يعدد عليه من ذلك حتى بكى هارون!!

فقال له هارون الرشيد:

يأتى، ونمنع الناس حتى ننصرف!

فقال مالك:

يا أمير المؤمنين، إذا منع العلم من العامه، لم ينتفع به الخاصة!

فذهب الرشيد إلى منزله، وتعلم منه، واستمع إليه!

وكان مالك يقول:

«والله ما دخلت على أحد منهم. يعنى أهل السلطان. إلا أذهب الله هيبته من قلبى؛ حتى أقول له الحق!»

وفى مالك يقول ابن الخياط:

يأتى الجـــواب، فما يراجع هيبة
والـسـائـلـون نـواكـس الأذقـــان

هدي التقى، وعز سلطان النهى
فهو العزيز، وليس ذا سلطان

ولهذا كان مالك لا يخشى فى الحق لومة لائم، ويقول كلمته وأجره على الله!، ويقدم النصح لأولى الأمر!

(1) يحقر من شأنه، ويصغر.

(2) حسبك: شرف آبائك، والأبهة: العظمة.

مالك نموذج للعزة والكرامة!!

• كان «مالك» ـ مع تواضعه ـ لا يخشى فى الحق لومة لائم..

وكان يؤمن فى أعماقه أن الساكت عن الحق شيطان أخرس.

ودليلنا على ذلك ما حدث فى تلك «**المناظرة**» التى دارت بينه وبين الخليفة العباسى: «**أبى جعفر المنصور**» فى مسجد الرسول ﷺ.

ففى أثناء المناظرة رفع «**المنصور**» صوته، فقال له مالك:

يا أمير المؤمنين، لاترفع صوتك فى هذا المسجد!؛ فأن الله ـ عز وجل ـ أدب قومًا، فقال:

﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: 2]

ومدح أقوامًا فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات:3].

• وعطس «المنصور» ذات يوم فشمته[1] مالك.

فلما خرج أنكر عليه الحاجب ذلك، وهدده إن عاد لمثلها!

فحدث أن عطس أبو جعفر!

فنظر مالك إلى الحاجب؛ ثم قال للمنصور:

أي حكم تريد يا أمير المؤمنين ؟!

أحكم الله، أم حكم الشيطان ؟

(1) من السنة تشميت العاطس حين يقول: الحمد الله! فإن سامعه يقول له: «يرحمك الله»، وقولنا له: يرحمك الله هو تشميت له.

وقد جرت عادة الملوك علي أن لا يشمتهم مجالسوهم تأدبا معهم. وحرصا علي عدم زوال الكلفة!

قال: لا، بل حكم الله.

قال مالك: يرحمك الله!

• ولما قدم «**الخليفة المهدي**» المدينة أقبل الناس عليه مسلمين، فلما أخذوا مجالسهم، جاء مالك، فقالوا:

اليوم يجلس مالك خلف الصفوف!

فلما دنا، ونظر ازدحام الناس، وقف وقال:

يا أمير المؤمنين، أين يجلس شيخك مالك ؟!

فناداه المهدى: عندى يا أبا عبد الله!!

فأوسعوا له حتى وصل إليه، وعندئذ رفع الخليفة المهدي ركبته اليمنى، وأجلسه بجانبه!

وقديما قالوا:

• **ومن لا يكرم نفسه لا يكرم!**

ويقول شاعرنا العربى:

وأكـــرم نفسى؛ إننى إن أهنتها
وحقك لم تكرم على أحد بعدى!

ولقد كرم مالك نفسه، وكرمه الله، وكرمه الناس!

حتى الخلفاء!

ومع هذه الهيبة والعزة والكرامة لم يفارقه تواضع العلماء وأدبهم

فقد جاء فى «حلية الأولياء» أن الإمام مالكا قلما كان يفتى بشيء إلا تلا هذه الآية:

﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: 32]

النصيحة لأئمة المسلمين!

يقول مالك:

شاورنى هارون الرشيد فى ثلاثة:

(1) فى أن يعلق «الموطأ» فى الكعبة، ويحمل الناس على ما فيه.

(2) وفى أن ينقض منبر رسول الله ﷺ ويجعله من ذهب وفضة وجوهر.

(3) وفى أن يقدم «نافعا» إمامًا فى مسجد النبى ﷺ.

فقلت:

(1) أما «تعليق **الوطأ**»؛ فإن الصحابة اختلفوا فى الفروع وتفرقوا، وكل عند نفسه مصيب.

(2) وأما «**نقض المنبر**» فلا أرى أن يحرم الناس أثر رسول الله ﷺ.

(3) وأما «**تقدمتك نافعا**» فإنه «**إمام فى القراءة**»، لايؤمن أن تبدر[1] منه بادرة فى المحراب، فتحفظ عليه![2]

فقال: وفقك الله يا أبا عبد الله.

الفتنة التى تعرض لها مالك

كان الإمام مالك رجل علم قليل الكلام.. من أشد الناس مداراة للناس، ومع ذلك لم يكتم رأيه حين سئل عمن أكره على طلاق امرأته ؟ فأعلن أنه لايقع طلاق المكره كان ذلك فى المدينة المنورة ووواليها حينئذ: جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عم الخليفة أبى جعفر!

(1) تبدر منه بادرة: يقع منه خطأ غير مقصود، فيحسب عليه، ويظن أنه إحدى القراءات السبع!

(2) الحلية 6/ 332، وأورده القاضي عياض فى ترتيب المدارك 1/ 214 لكن ذكر بدل هارون المهدى.

واستطاع الحاقدون أن يروا فى هذه الفتوى تحريضا على نقض بيعة الخليفة ولمن بايعه مكرها!!

فأخذ مالك وضرب بالسياط، وخلعت يده حتى أصبح يحملها بيده الأخري، وحلق شعره، وحمل على بعير وقيل له: ناد على نفسك!

فقال:

أيها الناس، ألا من عرفنى، فقد عرفنى!

ومن لم يعرفنى، فأنا مالك بن أنس، أقول:

«طلاق المكره ليس بشيء»!!

وبلغ الوالى ما يقوله فقال: لهم:

أدركوه ـ أنزلوه!

ولزم مالك بعدها بيته!

وحين علم الخليفة أبو جعفر المنصور بما حدث من الوالى ابن عمه عزله، وعاقبه!

وانتهز فرصة الحج وذهب إلى مالك، واعتذر إليه واسرضاه، واستسمحه حتى رضى!

وكان لهذه المنحة أثرها على مالك وبخاصة صحتة!

وفاة مالك

بعد حياة حافلة بطلب العلم، والتعليم، وتدوين الحديث والفقه..

مات رحمه الله ـ سنة تسع وسبعين ومئة.

عن ست وثمانين سنة.

ولما جاءه الموت تشهد، ثم قال:

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم:4].

ويقول القاضى عياض:

الصحيح وفاته فى ربيع الأول يوم الأحد لتمام اثنين وعشرين يوما من مرضه!

وصلى عليه الأمير عبد الله بن محمد بن إبراهيم الهاشمى وكان نائبا لأبيه على المدينة.

ثم مشى فى جنازته، وحمل نعشه.

ودفن بالبقيع، وقبره مشهور يزار، رحمه الله.

وفى الليلة التى مات فيها سمع من يردد:

لقد أصبح الإسلام زعزع ركنه غداة ثوي الهادي لدى ملحد القبر

إمام الهدى مازال للعلم صائنا عليه سلام الله فى آخر الدهر!

* * * * *

نماذج من آرائه وفتاواه!

س ـ ما قولكم دام فضلكم فى:

- رؤية الله!
- الإيمان!
- القرآن!
- الجدال فى الدين!
- كيف استوى؟!

رؤية الله

قال القاضى عياض فى سيرة مالك:

قال ابن نافع وأشهب ـ وأحدهما يزيد على الآخر ـ قلت: يا أبا عبد الله:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:22 ، 23] ينظرون إلى الله تعالى ؟!

قال: نعم بأعينهم هاتين!

قلت: فإن قومًا يقولون:

ناظرة بمعنى:»منتظرة الثواب«.

قال: بل تنظر إلى الله!

أما سمعت قول مسى:

﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف:143]، أتراه سأل حلا ؟!

قال الله: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾، وفى الدنيا، لأنها دار فناء، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى إلى ما يبقى.

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15].

رأيه فى الإيمان

قال غير واحد عن مالك:

الإيمان قول، وعمل..

يزيد وينقص..

وبعضه أفضل من بعض.

رأيه فى القرآن

روى ابن نافع عن مالك:

من قال: "القرآن مخلوق"، يجلد، ويحبس.

رأيه فى الجدال فى الدين!

قال: الجدال فى الدين ينشئ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب، ويقسيه، ويورث الضغن.

كيف استوى ؟!

سأل رجل مالكا فقال:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:5] كيف استوى ؟

فسكت مالك حتى علاه الرحضاء[1]، ثم قال:

الاستواء منه معلوم..

والكيف منه غير معقول..

والسؤال عن هذا بدعة!

(1) الرحضاء: العرق الكثير يغسل الجلد وفي حديث الوحي «فمسح عنه الرحضاء».

والإيمان به واجب..

وإنى لأظنك ضالا!!

أخرجوه!

فناداه الرجل: يا أبا عبد الله!!

والله لقد سألت عنها أهل البصرة.. والكوفة.. والعاق.. فلم أحد أحدا وفق لما وفقت له!

وبعد.. فقد آن الأوان لدراسة حياة الإمام «**محمد بن إدريس الشافعي**» عالم قريش الذى ملأ الأرض علما!

فتعال نستكمل رحلتنا مع أئمة الفقه! بعد أن قدمنا بدراسة تمهيدية لا يستغنى عنها طالب حول «الفقه الإسلامى وأئمته».

كى نواصل المسيرة، ونحن أكثر قربا منهم، وإقبالا على دراسة حياتهم.

* * * *